انها تحني رأسها امام امجاد ابنائها بكرامة ، ولكنه مجد مر ٠

« لا يستطيع اي مجد ان يعوضه لي حيا ، ليسألوا اي ام ٠٠ ليست هناك ام تحلم بمثل هذا المجد ٠ الامهات يلدن الاطفال من اجل الحياة ، من اجل السعادة الارضية ٠

□

ثم اصدر ايتماتوف مجموعته الشهيرة « قصص الجبال والسهول » هتف الجميع : ان غوركي مالفا وماكار تشودرا ورادا بمتشرديه وغجرييه يستفيق مع ايتماتوف ويكتسب بعدا جديدا ٠٠ هؤلاء الابطال الذين وجدوا ذواتهم او اضاعوها ، يخوضون في صراع البناء وصراع الخلفيات الفكرية والطبقية والاخلاقية المتباينة ٠ لقد صور ايتماتوف بضربات ريشة حادة المحاسن والمساوىء ، النفوس الابية والوضيعة ، التفاني والانتهازية الابداع والبيروقراطية وبعيدا عن الابيض والاسود ، وبعيدا عن « الفرح المزيف والميلودراما التافهة اللذين سادا اكثر المؤلفات في عهد عبادة الشخصية ، شق ايتماتوف للواقعية طريقا بكرا غنيا كان يحلم به غوركي : ايقاع الحاضر الملحمي مع آفاق المستقبل القلق ، الحكمة لا السذاجة ، الرومانسية الشعرية العميقة المحبة للحياة والمقاتلة في سبيلها ، لا الرومانسية الشعارية المسطحة بالعواطف المشاعة الفارغة ٠ ونال ايتماتوف على مجموعته هذه جائزة لينين عام ١٩٦٣ ٠

□

بعد ثلاث سنوات ظهرت رواية ايتماتوف العظيمة « وداعا يا غولساري » التي اثارت عاصفة عالمية من النقد ، واتفق الكثير بين مؤيد ومعارض انها خير ما كتب الجيل الثاني في الادب السوفييتي ٠

وداعا يا غولساري نقد صارم عنيف للانتهازية البيروقراطية التي تتمتع بسلطة مؤثرة ، والتي تعتصر العاملين المتفانين في سبيل المثل التي عاشوا لها ، لتنفيذ خطط مستحيلة تعهدت بها امام الحزب والدولة ، وجعلت العاملين ، بالمداهنة والكلمات الحماسية الفارغة ، يتعهدون بها بعد ان وعدتهم بالمعدات والالآت والابنية والاعلاف ٠ وهكذا تركتهم امام جبروت الطبيعة ، وقسوة الصقيع دون ان تفي بأية التزامات ، والنتيجة طبعا كارثة ٠٠ البيروقراطية تعتصر فائض العمل والعاملون الابطال يجوعون ٠٠ ثم يتهمون لعدم تنفيذهم الخطط بشرفهم وايمانهم بالقضية ، وقد تصل الاتهامات الى درجة الخيانة ٠ ولكنهم لا ينحنون ٠٠ يقاومون بكل قوتهم كما قاوموا الاعداء الخارجيين ، وقد لا ينتصرون ، ولكنهم مؤمنون بان القضية اكبر من كل هذا الجهاز الذي نما متسلقا كاللبلاب على جذع الثورة في ظل عبادة الشخصية ٠

تاناباي من اوائل الشيوعيين في القرية ، كان شجاعا وصارما كالسيف في وجه الاعداء ، حتى انه نزع ملكية اخيه الصغيرة ، وعندما قامت الحرب ، مكث في الجيش ست سنوات ، وحارب في جبهات متعددة ، وجرح مرارا ولكنه ظل حيا حتى النصر ٠

عاد الجندي الاول تاناباي الى قريته « حسنا لقد انتصرنا على الاعداء ، والان ينبغي ان نعيش » ٠ « ان الماضي كله كان قد قدم ضمانة لكي يمكن الآن ، وبعد كل شيء ، بدء تلك